

DOI: 10.54240/2318-015-001-021

نضال المرأة داخل السجون والمعتقلات الفرنسية خلال الثورة الجزائرية

(1962 – 1954)

Woman's struggle in French prisons and detention centers
during the Algerian revolution (1954 - 1962)

اسم المؤلف والمرسل: هبة كلاش - Hiba Kalache صص 449-467

الدرجة والعنوان المهني: دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر - جامعة باتنة 1 - الجزائر.

البريد الإلكتروني: hibakallache@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2024/12/07.. تاريخ المراجعة: 2025/01/10.. تاريخ القبول: 2025/05/01.

الملخص: أكدت جبهة التحرير الوطني على أهمية إشراك المرأة في مشروعها التحرري، وهي حقيقة دلت عليها موثيق الثورة، خاصة ميثاق الصومام الذي أعطى أهمية كبيرة لذلك، وترجمتها المرأة من خلال مشاركتها الفعالة في مختلف مراحل النضال، وهو الأمر الذي لم يكن يخفى على السلطات الاستعمارية التي حاولت بشق الطرق قطع الصلة بينها وبين الثورة، من خلال الزج بها في مختلف السجون والمعتقلات التي قامت بتشبيدها داخل الجزائر وخارجها؛ غير أن جبهة التحرير الوطني استطاعت أن تخترق هذه المؤسسات العقابية، وتنقل معركتها إلى داخلها من خلال تجنيد المناضلات المعتقلات في خلايا نضالية لعبت دورا مهما في تعزيز أساليب الكفاح والمواجهة ضد المستعمر الفرنسي الذي وجد نفسه أمام ثورتين واحدة داخل أسوار السجون والمعتقلات وأخرى خارجها. لذا فإن هذه الدراسة التي تعتمد أساسا على مجموعة من الشهادات والمذكرات الشخصية تحاول تسليط الضوء على الجانب الخفي من نضال المرأة داخل هذه المؤسسات العقابية، والوقوف على مختلف الانتصارات والنجاحات التي حققتها في التعبئة والتجنيد، وجلب التأييد والدعم للقضية الجزائرية. الكلمات المفتاحية: سجن بربروس؛ التعذيب؛ الاعتقال؛ الإعدام؛ جميلة بو حيرد؛ جميلة بوباشة؛ النضال؛ الإضراب عن الطعام؛ التعليم؛ التضامن.

Abstract: The National Liberation Front (FLN) emphasized the vital role of women in its national liberation project, a commitment clearly reflected in the foundational texts of the Revolution, particularly

the Soummam Platform, which granted a significant importance to the issue. This vision was brought to life through the active participation of women in all phases of the struggle. Their involvement did not go unnoticed by the colonial authorities, who sought by all possible means to sever the connection between women and the revolutionary movement. This included widespread imprisonment in detention centers both within Algeria and abroad. However, the FLN succeeded in overcoming these repressive barriers and managed to maintain its influence even within these punitive institutions, centers by recruiting female prisoners into combat cells that played an important role in strengthening methods of struggle and confrontation against the French colonizer one within the walls of prisons and detention centers and the other outside them. Therefore, this study which is based primarily on a set of testimonies and personal memoirs, attempts to shed light on the hidden side of women's struggle inside these penal institutions and to identify the various victories and successes they achieved in mobilization and recruitment and in attracting support and backing for the Algerian case.

Keywords: Barberousse Prison; Torture; Arrest; Capital punishment; Djamila Bouhired; Djamila Boupacha; The Algerian Revolution; Hunger strike; Education; Solidarity.

المقدمة: إنّ اكتشاف السلطات الاستعمارية مشاركة المرأة الجزائرية في أعمال فداية ونشاطات أخرى لها علاقة مباشرة بجيش وجهة التحرير الوطنيين جعلها تصاب بالذهول والحيرة؛ لذا ومن أجل الحدّ من نشاطها، وقطع صلتها مع الثورة التحريرية، سلّطت عليها أنواعا مختلفة من التعذيب والترهيب، وزجت بها في السجون والمعتقلات التي قامت بإنشائها أو توسيعها عبر مختلف مناطق الوطن، وعلى الأراضي الفرنسية.

استغلت جهة التحرير الوطني وجود المرأة المناضلة في مختلف المؤسسات العقابية؛ فقامت بتنظيمها وتجنيدتها للدعاية للثورة التحريرية؛ حيث لعبت دورا مهما في فضح الممارسات الاستعمارية، وما تعانيه المرأة المعتقلة من تعذيب واضطهاد.

ومن هذا المنطلق نطرح جملة من التساؤلات: ماهي أهم الطرق والأساليب التي اتبعتها المرأة في مواصلة النضال داخل السجون والمعتقلات؟ وكيف كان موقف الإدارة الاستعمارية من ذلك؟ وماهي أهم الأساليب التي اتبعتها المرأة في فضح سياسة التعذيب والممارسات الإرهابية في حقها؟ وإسماع صوتها للعالم؟ وما مدى نجاح المناضلة السجينة في تحقيق المهمة الموكلة لها؟

1- تنظيم النساء داخل السجون والمعتقلات: حافظت جهة التحرير الوطني على اتصالها بالمناضلات داخل السجون والمعتقلات عن طريق المحامين خلال الزيارات واللقاءات التي كانت تحصل قبل وأثناء المحاكمة.¹ ولضبط الأمور كانت تقوم بتعيين أو تأييد تعيين مسؤولين في السجن وداخل مختلف أقسامه.²

كما قامت بتشكيل خلايا نسوية مهمتها الأساسية التعبئة ومواصلة النضال؛ وحتى تقوم المعتقلات بمهمتهن ابتكرن طرقا عدة للاتصال والتواصل فيما بينهن، ومع المعتقلين الرجال؛ ففي سجن تلمسان تكونت لجنة تحت رئاسة الأنسة مراد بودية - طالبة ثانوية- وكانت الطريقة الوحيدة للاتصال بالمعتقلين الرجال داخل السجن هي الرسائل المكتوبة عبر قناة صالون الحلاقة بالسجن.³

أما في سجن بربروس فتبادل المعلومات بين الرجال والنساء يتم عن طريق خيط طويل متين يمر عبر النوافذ، وبواسطة هذه الوسيلة أرسل الشاعر "مفدي زكرياء" للنساء في الرواق رقم (05) ديوانه الشعري (اللهب المقدس)، فكانت أجمل هدية تلقها السجينات.⁴ وفي سجن الحراش كانت السجينات في أقفاص الدجاج يقمن بكسر الأسقف المشبكة؛ حيث تفتح إحداهن سقفها ثم تقوم بتخليص الأخريات، وهكذا كن يجتمعن معا ليناقدن ويحللن ويتبادلن الآراء حول ما تنشره الجرائد، وفي نهاية الاجتماع تعود كل واحدة منهن إلى مكانها، ولا يقمن بهذه العملية إلا بعد أن تخرج المراقبة.⁵

وحرصا من السجينات على عدم تدخل إدارة السجن في حل المشاكل والخلافات التي تحدث بينهن؛ قمن في سجن الحراش بتعيين مجموعة من النساء لحفظ الأمن، وفرقة تشرف على النظافة والأشغال اليومية في الحجرة أو خارجها، وأخرى تشرف على الخصومات؛ كانت

1- نجود علي قلوحي- عرائس بربروس- ANEP- الجزائر- 2014- ص 376-378.

2- جاكين قروح - سجون ومداسر - ترجمة- نسيمة مسعيد- وزارة المجاهدين- الجزائر- 2012 - ص 75.

3- فتحي بلخوجة- مذكرات مقاوم (من مقاوم في حرب المدن إلى سجين سياسي)- ترجمة - محمد جناح- دار القصة للنشر- الجزائر- 2012-ص118.

4- خديجة لصقر خيار- النداء الخالد (مذكرات مجاهدة)- مطبعة حسناوي مراد- الجزائر- 2012- ص245.

5- Louise Ighil ahriz- Algérienne- récit recueilli par Anne Nivat- Edition Chihab- Alger-2013- p138-137.

بمثابة مجلس قضاء يتكون من خمس مناضلات تقليدا للزعماء الخمسة، كما تم تعيين خمس محاميات، وكذلك عدّة شرطيات يسهرن على تنفيذ الحكم، وحماية المجلس من الاعتداءات فكّن يعلقن العلم الجزائري في كل مجلس، ويلبسن البرنوس الأسود، وكان الهدف من هذا الإجراء سحب إدارة أمور النسوة وشؤونهن من يد السلطة الفرنسية.¹

2- المطالبة بتحسين أوضاع السجن والاعتراف بهن كسجينات سياسيات: خاضت المناضلات المعتقلات معارك شرسة داخل السجون والمعتقلات من أجل تحسين أوضاعهن واعتبارهن سجينات سياسيات لا سجينات حقّ عام، وتوفير الشروط الضرورية للحصول على الحق في الاحترام والكرامة، ويظهر ذلك في تضامن السجينات فيما بينهن في مجابهة مسؤولي إدارات السجون والحراس عند اقتحام أقسامهن أو مراقدهن بالعراك، أو عصيان الأوامر كرفض الدخول أو الخروج من الزنزانة أو المرقد أو السّاحة.²

ومن الطرق الأخرى التي لجأت إليها المعتقلات للضغط على الجانب الفرنسي الإضراب عن الطعام.³ ولعلّ أشهرها إضراب سنة 1959 والذي كان على مرحلتين: المرحلة الأولى من 18 جوان إلى غاية 1 جويلية وقد بين السجناء أسباب هذا الإضراب في الرسائل المرسلة إلى وزير العدل الفرنسي، ورئيس لجنة حقوق الإنسان، ورئيس الصليب الأحمر الدولي؛ حيث اشتكوا من الاستفزازات والإهانة وأعمال العنف التي تعرضوا لها، والتي تتنافى مع احترام كرامة الإنسان خاصة بعد صدور كتاب التعفن (الغرغرينا) (La Gangrène)، والذي تضمن شهادات جزائريين أغلبهم من الطلبة تعرضوا للتعذيب في مراكز البوليس السياسي الفرنسي، وطالب المضربون في رسائلهم من الحكومة الفرنسية أن تعترف بهم كمساجين سياسيين، وأن تفصلهم عن مساجين الحق العام.⁴ وانتهى هذا الإضراب بموافقة الوزير الفرنسي على نظام السّجن

1- يحيى بوعزيز- المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية- دار الهدى - الجزائر- 2000- ص 105.

2- جاكين قروج- مصدر سابق- ص 67.

3- عمار بلخوجة- باية حسين 1940-2000- ترجمة: مصطفى فاسي- موفم للنشر- الجزائر - 2014- ص 164-165.

4- مجهول- المعتقلون الجزائريون في سجون فرنسا- جريدة المجاهد-عدد 45- 1959/06/29- ص 2 - 8.

السّياسي، غير أن تراجعته عن وعوده جعلهم يضربون عن الطعام من جديد يوم الجمعة 17 جويلية من نفس العام.¹

ومن الإضرابات الأخرى التي شاركت فيها المناضلات، الإضراب العام والذي استمر لأكثر من 20 يوما في الفترة الممتدة من 02 إلى 20 نوفمبر 1961، والذي جاء تضامنا مع الوزراء الجزائريين الخمسة المعتقلين في فرنسا، وطالب من خلاله المعتقلون الحكومة الفرنسية الاعتراف بهم كسجناء سياسيين، والحصول على تطبيق النّظام السّياسي على سجناء جهة التحرير الوطني وصاحب هذا الإضراب مظاهرات كثيرة؛ حيث علمت لجنة فيدرالية جهة التحرير الوطني بفرنسا عن طريق رسالة مؤرخة في 9 نوفمبر أن حوالي 400 امرأة جزائرية تظاهرن أمام سجن سان بول في ليون، وتمّ توقيفهن من الشّركة الفرنسية، ثم أطلق سراحهن، وقد جرت مظاهرات مماثلة أمام لاسانتي (La Santé)، وماتز (Metz)، وغرونوبل (Grenoble)، وفانسان (Vansan).²

عرف الإضراب ضجة إعلامية كبيرة؛ الأمر الذي جعله محل دراسة ومناقشة في هيئة الأمم المتحدة؛ حيث أيدت الجمعية العامة في جلسة 6 نوفمبر مطالب المعتقلين، ودعت الحكومة الفرنسية إلى الاعتراف بحقوقهم.³

تمكنت النّساء بفضل هذا الإضراب من افتكاك حقّ الاعتراف بهن كسجينات سياسيات وفصلهن عن سجينات الحقّ العام، وحصلن على بعض الحقوق في ميدان الأكل والنّوم والتعليم، والتّواصل مع الأهل، والحقّ في الاستماع للمذيع ومطالعة بعض الجرائد.⁴ وفي السنوات الأخيرة من الثورة سمحت إدارة سجن بو (Pau) بالتقاط الصور، وإرسالها لعائلاتهن

1- مجهول- لماذا عاد المساجين في فرنسا إلى الإضراب عن الطعام ؟ - جريدة المجاهد- عدد 47 - 7/27 - 1959- ص 3.

2- علي هارون- الولاية السابعة (حرب جهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954- 1962) - ترجمة : الصادق عماري ماضي- مصطفى ماضي- دار القصبة للنشر- الجزائر- 2013- ص 499-515.

3- المصدر نفسه، ص 499-515.

4- نجود علي قلوجي- مرجع سابق- ص 434.

والتراسل مع السجينات الأخريات في سجن رين (Rennes) وكاين (Caen) بفرنسا.¹ هذا إلى جانب إلغاء الأعمال الشاقة.²

إنّ اعتراف فرنسا بالسّجناء الجزائريين كسجناء سياسيين يعني الاعتراف بمشروعية الثّورة التحريرية، وهو الأمر الذي كانت السّلطات الفرنسية ترفضه؛ لذا فإنّ الاعتراف كان شكليا أكثر منه قانونيا.

3- الاحتجاج على تنفيذ أحكام الإعدام ضد المناضلين واستغلال المحاكمات للتأكيد على الانتماء لجمية التحرير الوطني؛ شاركت السجينات في مظاهرات الاحتجاج والاستنكار ضد حكم إعدام المناضلين؛ ففي سجن بربروس عند اقتياد الشهيد لتنفيذ حكم الإعدام تجد السجينات يتشبثن بالقضبان الحديدية معبرات عن غضبن وألمهن³، وهن يطلقن الزغاريد، ويرددن الشّعارات مثل "تحيا الجزائر حرة مستقلة"، وينشدن الأناشيد الوطنية؛ مثل " من جبالنا، تضحياتنا للوطن خير من الحياة وإخواني لا تنسوا شهداءكم..."⁴. ثم تتعالى صيحات التكبير والتّهليل، التي ما تلبث أن تنتقل إلى العنابر والطوابق العلوية، حيث المجاهدين الذين كانوا يطلقون صيحاتهم، التي كان صداها يمتد إلى خارج أسوار السّجن⁵، فتصعد النساء في حي القصبة القريب إلى السّطوح ليرددن الأناشيد، ويطلقن الزغاريد هن أيضا.⁶

وحول هذه الأجواء تقول المجاهدة لويّزة أحرّيز "... حينما يجزّ المحكوم عليه بالإعدام إلى المقصلة يقوم بإخطار إخوانه وأخواته رافعا صوته مكبرا " الله أكبر، الله أكبر اصمدوا ... قاوموا إلى أن تتحرر الجزائر " ... في المرة الأولى خفت لما رأيت الأخوات يستيقظن من منامهن مذعورات، ثم يسرعن نحو النوافذ الضيقة، ويتعلقن بها، ويشعرن في إنشاد أحد الأناشيد الوطنية..."⁷.

1- جاكين قروج- مصدر سابق- ص 129.

2- عمار بلخوجة - مرجع سابق- ص 153.

3- جاكين قروج- مصدر سابق- ص 66.

4- عمار بلخوجة- مرجع سابق- ص 39.

5- خديجة لصقر خيار- مصدر سابق- ص 84-96.

6- هنري علاق- مذكرات جزائرية- ترجمة: مسعود جناح- عبد السلام عزيزي- دار القصبة للنشر- الجزائر- 2007- ص 257.

7 - Louisette Ighilahriz- op- cit- p 130.

وخلال 24 ساعة التي تلي تنفيذ حكم الإعدام تضرب السّجينات عن الطعام، وكانت الاحتجاجات داخل المراقد تستمر إلى ما بعد الإعدام غالباً، وكثيراً ما تنتهي هذه الاحتجاجات والإضرابات بقمع شديد من إدارة السجن التي تلجأ إلى استخدام المياه الساخنة والقذرة واقتحام المراقد وصرع المتظاهرات بالدبابيس ما يؤدي إلى إغماء الكثير منهن¹، وكعقاب كانت إدارة السجن تمنع الزيارات والمراسلات، وتحرمهن من القفف.²

رغم الوسائل التي استعملتها إدارة السجن في قمع هذه المظاهرات إلا أنها لم تفلح في إسكات الأصوات التي كانت ترافق الشهداء إلى المقصلة كل ليلة.

لم يقتصر نشاط المرأة في فضح السياسة الاستعمارية وإدانة التعذيب على الإضرابات والاحتجاجات فقط ؛ بل امتد إلى استغلال المحاكمات التي كانت تُجرى بين الفينة والأخرى؛ فكانت المناضلة وبمساعدة المحامي تحرّر تصريحاً تؤيد فيه جبهة التحرير الوطني، تتم مناقشته مع باقي المناضلات.³

وخلال المحاكمة ترتدي المناضلة أبهى حلّة لها تمزج فيها بين ألوان العلم الوطني (الأحمر، الأخضر والأبيض)⁴، وفي نهاية المحاكمة، كانت تتعمد تقديم تصريحات سياسية، وذلك بتأكيد ارتباطها بالجبهة⁵ ولأجل ذلك أصدرت السلطات الاستعمارية أحكاماً بالسجن المؤبد والإعدام على مجموعة من النساء.

4- الاحتفال بالمناسبات والأحداث الوطنية والعربية المختلفة: ومن داخل السّجن احتفلت المناضلات بذكرى أول نوفمبر 1954، كدليل على أن الكفاح لم يتوقف، فكن يرددن الأناشيد الوطنية التي حفظنها عن ظهر قلب، ويطلقن الزغاريد والهتافات والشعارات المختلفة⁶. وفي

1- خيرة حسيب- المرأة الجزائرية في خضم الثورة التحريرية- مجلة أول نوفمبر- عدد 60- الجزائر- 1983- ص 87.

2- جاكين قروج- مصدر سابق- ص 75.

3- نجود علي قلوحي- مرجع سابق- ص 436 و ص 462.

4- مصطفى خياطي- سجناء سياسيون خلال حرب الجزائر استناداً إلى أضاير اللجنة الدولية للصليب الأحمر - ترجمة- عباد قندوز فوزية- دار هومة الجزائر- 2015 - ص 193.

5- نجود علي قلوحي- مرجع سابق- ص 436.

6- آني شتاينر - ملتقى كفاح المرأة الجزائرية- منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954- الجزائر- 2007- ص 515.

سجن (Pau) أقدمت النسوة على رفع العلم الوطني، وترديد الأناشيد الوطنية، وإلقاء الأبيات الأولى من قصيدة المقاومة الفرنسية ليؤكدن على حقهن في الاستقلال.¹

كما قامت المعتقلات الثلاثة عشرة في سجن كاين (Caen) بصنع علم جزائري، ورفعته من نافذة مرقدن الواقع في الطابق الثالث من السجن، وقد كان هذا العلم مصنوعا بوسائل بسيطة تتمثل في قطع من القماش والخيوط وعصي المكناس، و كان العلم يثير فضول المارة الذين كانوا يجتمعون لمشاهدته، وكان ذلك في جويلية 1960.²

ومن بين المناسبات الأخرى التي احتفلت بها المناضلات، ذكرى مجازر 8 ماي 1945، وذلك عن طريق التذكير بما حدث في تلك المجازر الرهيبة وضحاياها، وما يعانيه الجزائريون من ظلم واضطهاد داخل السجون وخارجها.³ كما احتفلن في سجن (Pau) بقيام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958.⁴

وتضامنا مع الشعب المغربي، قامت السجينات في سجن الحراش بمظاهرة سلمية عندما بلغهن خبر وفاة ملك المغرب "محمد الخامس"، فعلقن الأعلام المنكسة، ونظمن مسيرة حزن صامته، وتحدثن عن نضال الملك الفقيد، وفضحن ما يُحاك من ظلم في بلاد المغرب الكبير.⁵

5- الدعاية والتعبئة وسط سجينات الحق العام والوقوف في وجه سياسة التفريق: استغلت المناضلات وجودهن مع سجينات الحق العام؛ حيث عملن على نشر التوجيهات السياسية التي تخدم القضية الجزائرية، أين تمكنّ وفي وقت قصير من تجنيدهن لصالح الثورة الجزائرية، وذلك عن طريق نشاطهن الواسع المتمثل في إعطاء دروس باللغتين العربية والفرنسية في القراءة، والكتابة لدرجة أن البعض منهن أصبح يمدّهن بالأخبار والمعلومات عن الثورة بعد خروجهن من السجن، بل إنّ الكثيرات منهن رجعن إلى السجن مرّة أخرى بتهمة الانتماء إلى جبهة وجيش التحرير الوطنيين.⁶

1- نجود علي قلوجي- مرجع سابق- ص 461.

2 - Djamilia Amrane-Minne - Femmes au combat- Edition Rahma- Alger- 1993- p171.

3- يحيى بوعزيز- مرجع سابق- ص 99.

4- عمار بلخوجة - مرجع سابق- ص 152.

5- يحيى بوعزيز- مرجع سابق- ص 104.

6- خيرة حسيب- المرأة الجزائرية في خضم الثورة التحريرية- مرجع سابق- ص 87.

الامتحانات، والحصول على حق إدخال الكتب التي يحتجها لاجتياز هذه الامتحانات والتسجيل في الدروس عن طريق المراسلة في مستويات مختلفة، فخلال العام الدراسي 1959-1960، تمكنت سبع سجينات من التسجيل في المركز الوطني للتعليم بالمراسلة (Vanves)؛ حيث سجلت "بهية خلوي"، و"פטومة كيوان"، و"غنية بلقايد" في دورات المدرسة الثانوية. أما "زهرة ظريف" فقد سجلت في الحقوق، في حين سجلت "زهور زاري"، و"جميلة عمران" في الامتحان التحضيري الخاص بالدخول إلى الكلية، واستفادت السجينات من دعم بيداغوجي داخل السجن، وكانت التمارين والفروض المرسلّة تعود إليهن بعد تصحيحها، وتكون غالبا مذيّلة بملاحظات وتقييمات طويلة كانت بمثابة رسائل مساندة من المصححين.¹

هذا بالإضافة إلى تعلم بعض الحرف التقليدية كالخياطة والحيّاكة، وإرسال المنسوجات لجيش التحرير الوطني تحت إشراف جبهة التحرير الوطني.²

7- إلقاء المحاضرات وتأليف مسرحيات تتناول القضية الجزائرية: وفي إطار توعية النساء بأهمية القضية الجزائرية وعدالتها، ألقت المعتقلات مجموعة من المحاضرات تتناول مواضيع سياسية واجتماعية وتاريخية تهّم القضية الوطنية، وأخرى تتناول مواضيع دينية خاصة بجهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والصّحابة وأمهات المؤمنين.³ هذا إلى جانب تأليف وتقديم مسرحيات ذات مغزى ثوري وسياسي كان لها أثرا ايجابيا في العديد من السّجينات. بالإضافة إلى قراءة القرآن، وتفسيره، وتدرّس التاريخ وقصّ القصص، وتمثيل الروايات البطولية في الوقت الذي تقوم فيه بعض السّجينات بالحراسة.⁴ وفي بعض السّجون والمعتقلات كانت تلقى محاضرات من طرف المثقفين باللغة الفرنسية تتناول الطب والصّيدلة والاقتصاد والاجتماع.⁵

ومن السّجن أبدعت المناضلات في كتابة القصائد والمسرحيات والرسم....، مثل كوليت أنا غريغوار المدعوة (أنا غريكي) التي كانت ترسم بورتريهات للسّجينات، وتنظم القصائد، وقد

1- Djamilia Amrane-Minne- Femmes au combat- op- cit- pp. 190- 197.

2- ibid, p 193.

3- خديجة لصقر خيار- مصدر سابق- ص 89.

4- يحي بوعزيز- مرجع سابق- ص 86.

5- محمد الصالح عتيق- معتقل الدّائرة (القم المغلوق قبر مفتوح)- مجلة أول نوفمبر- عدد 68- الجزائر- 1984- ص 47.



نشرتها بعد الاستقلال في ديوان حمل اسم "الجزائر عاصمتها الجزائر"، ونشرت المناضلة "زهور زراري" قصائدها التي نظمها في السّجن تحت عنوان (Poèmes de prison)، وفي السجن كتبت "خديجة لصفر خيار" جزءا من كتابها "النّداء الخالد". أما المجاهدة "زهرة ظريف" فقد ألّفت كتابها موت إخواني (la Mort de mes frères)¹.

8- التآزر والتّضامن الاجتماعي: سجلت المناضلات صورا رائعة في التّضامن والتآزر؛ فعند دخول أية مناضلة السّجن تهرع إليها السّجينات ويستقبلنها بكل حبّ وعطف، ويحاولن التّخفيف من محنتها، ويرفعن من معنوياتها، وهن يرددن "الاستقلال قريب يا خواتم"². أما في معتقل تافشون؛ فقد شكّلت لجنة مُصغّرة من أوائل المعتقلات، وطُلب منها استقبال الوافدات الجدد، وتقديم المساعدة لهن خاصة وأنهن كن يصلن المعتقل في حالة يُرى لها³.

عملت السّجينات على تقديم العلاج والرعاية الصحيّة للمريضات منهن رغم قلة الإمكانيات والوسائل، وعملن كذلك على مساعدة النّساء الحوامل على وضع حملهن، ومثال ذلك قيام المجاهدة قاسمي فاطمة (الولاية الخامسة) ومجموعة من المجاهدات في السّجن المعلق ببرج خزان الماء بسبدو على مساعدة المجاهدة "فاطمة خليف" على وضع حملها، وتقديم الإسعافات الضرورية واللازمة لها ولابنها، ثم قيام السّجينات وكان عددهن 109 بإضراب مفتوح عن الطعام حتى يسمح لرضيعها "نصر الدين" بالبقاء معها بالسّجن، وهو ما حصل بالفعل⁴.

كان التّضامن بين المعتقلات أحد الركائز الأساسيّة التي ساهمت في استمرار النّضال؛ فإذا تعرضت واحدة منهن لأي أذى أو مضايقة، فإنهن ينتفضن جميعا للتضامن معها، والدفاع عنها والأمثلة عن ذلك كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قيام السّجينات بالإضراب عن الطعام والتظاهر في سجن الحراش عندما رفضت إدارة السّجن تقديم العلاج والرعاية الصحيّة للمناضلة "لويّزة أحريز" التي تمّ حجزها في زنزانة انفراديّة، طالبين بإخراجها من

1- جاكين قروج- مصدر سابق- ص 77.

2- عمار بلخوجة - مرجع سابق- ص 146.

3- Djamilia Amrane-Minne- Femmes au combat- op- cit- p191-192.

4- محمد قنطاري- من بطولات المرأة الجزائرية في الثورة وجرائم الاستعمار الفرنسي- دار الغرب للنشر والتوزيع- الجزائر- 2004- ص

المرأة في السجن يشرف الثورة، ويدفع مسيرتها، وعلى المرأة أن تحافظ على هذا الشرف حتى لا يُقال أن الثورة يقودها ضعفاء، والسّلام على من اتبع الهدى".¹

9- الهروب من سجن الروكات الصغيرة (la Petite Roquette): تعتبر عملية الهروب من سجن الروكات الصغيرة (في 25 فيفري 1961 واحدة من أشهر عمليات الفرار التي تم تسجيلها وسط المناضلات السياسيات؛ وتتمثل هذه العملية في هروب ست مناضلات محكوم عليهن ما بين 5 إلى 10 سنوات من السجن والأمر يتعلق هنا بمناضلتين من جبهة التحرير الوطني، وهما: فاطمة حمود وزينة حرايق، وأربع مناضلات من بينهن مصرية من شبكة جونسون وهن: "ديدار فوزي روسانو (Didar Fawzi-Rossana)، وميشلين بوتو (Micheline Prouteau)، وإيلان كينات (Hélène Cuénat)، وجاكلين كاري (Jacqueline Carré)".²

تعود فكرة التخطيط للهروب من السجن إلى أواخر ربيع سنة 1959، حيث تمكنت جاكلين كاري (Jacqueline Carré) من الحصول على شفرتي منشار، واتفقت مع إيلان (Hélène) وميشلين (Micheline) على إخفاءهما، وفي شهر أوت بدأت السجينات الثلاث بنزع أقفال أبواب الزنانات، وإعادة تركيبها حتى تكون سهلة الفتح والاقتلاع عند الهروب. وفي ديسمبر اتفقت الهاربات الست على الخطة، والمتمثلة في: نشر قضيب في البرج الذي يغطي المراحيض، ثم النزول بواسطة حبل قريب جدا من سلك كهربائي غليظ، وأخيرا اجتياز الفراغ العاري الذي يفصل السجن عن جدار الحائط، ثم تسلق حائط علوه ستة أمتار. وفي يوم 25 فيفري تمكنت السجينات من الهروب من السجن، حيث وجهن إلى فندق جزائري أين بقين هناك إلى أن غادرن الواحدة تلو الأخرى إلى بلجيكا بعد أن غيّرن من ملامحهن، وحصلن على بطاقات ووثائق جديدة.³

1- يحي بوعزيز- مرجع سابق- ص 86.

2- هبة كلاش- إسهامات المرأة الجزائرية المهاجرة في الثورة التحريرية بفدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا "زينة حرايق أنموذجا"- مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية -العدد 1- مجلد 8- جامعة قالة- أبريل 2024- ص 337.

3- للمزيد من التفاصيل والمعلومات حول كيفية الهروب . انظر : هرفي هامون- باتريك روتمان- حملة الحقائب " المقاومة الفرنسية ضد حرب الجزائر"- ترجمة : عبد الرحمان كابوية - محمد سالم- منشورات دحلب- الجزائر- 2010- ص 455-465.

أحدثت هذه العملية ضجة إعلامية كبيرة لأن أبطالها لم يكن في الواقع إلا ست نساء الأمر الذي جعلها تتصدر عناوين الجرائد الفرنسية؛ فمثلا كتبت (Le Figaro) بتاريخ 25 و 26 فيفري 1961 تحت عنوان "الروكات الصغيرة فرار ليلي لي ست معتقلات". أما جريدة (Liberté) فقد نشرت الخبر تحت عنوان "هؤلاء الستة نشروا قضبانهم"، في حين كتبت جريدة "الفجر" تحت عنوان "لأول مرة ست معتقلات يهربن معا من سجن النساء".¹

10- إثارة الرأي العام العربي والدولي: إنّ ما تعرضت له المرأة الجزائرية من تعذيب وتنكيل وأحكام بالإعدام أكسبها شهرة عالمية جعلت العديد من الشعوب، والدول تتعاطف معها، وتدافع عن عدالة قضيتها، حتى أضحي يُضرب بها المثل في التّضحية والفداء، ويتغنى بها الشعراء والأدباء، وتحاك حولها القصص والبطولات.

تعتبر قضية "جميلة بوحيرد" التي تعرضت للتعذيب، وحكم عليها بالإعدام واحدة من أهم القضايا التي لفتت أنظار العالم للتعذيب في الجزائر، ووضعت فرنسا في موقف لا تحسد عليه لأنّ الأمر هنا يتعلق بامرأة، ويرجع الفضل في ذلك إلى الحملة الإعلامية الكبيرة التي قادها المحامي الفرنسي "جاك فرجيس" (Jacques Vergès) للتعريف بقضيتها، ومن خلالها فضح الممارسات الفرنسية اتجاه الجزائريين داخل السّجون والمعتقلات، فقام مع "جورج أرنو" (Georges Arnaud) في خريف 1957، بإصدار كتاب تحت عنوان "دفاعا عن جميلة بوحيرد" كاشفا من خلاله أساليب التعذيب التي تعرضت لها "جميلة بوحيرد" أثناء الاستنطاق، وأرفقه بالتقرير الطبي الذي أعدته الطبيبة "جنين بلخوجة" التي كانت معها في سجن بربروس، وأحدث هذا الكتاب ضجة إعلامية كبيرة، وتعاطفا كبيرا من الشخصيات العالمية والفرنسية، وعلى رأسها الجنرال "ديغول" الذي أرسل في 8 ديسمبر 1957 رسالة إلى مؤلفي الكتاب، يبدي فيها إعجابه الشديد بهذا الكتاب، وتأسفه لما حصل مع "جميلة بوحيرد".²

أدت المصادقة على تنفيذ الحكم بالإعدام على "جميلة بوحيرد" صباح يوم 7 مارس 1958، إلى اندلاع مظاهرات شعبية واحتجاجات في مختلف دول العالم، وخاصة البلدان

1- مصطفى خياطي- سجناء سياسيون خلال حرب الجزائر استنادا إلى أضاير اللجنة الدولية للصليب الأحمر - ترجمة- عباد قندوز فوزية- دار هومة الجزائر- 2015 - ص 406.

2- جاك فرجاس- جرائم الدولة "الكوميديا القضائية"- ترجمة : حيدر حسين- عويدات للنشر والطباعة- بيروت- 2004- ص 213.

العربية، مع إرسال برقيات احتجاج واستنكار ضد الحكم إلى رئيس الجمهورية الفرنسية "رينيه كوتي"، ورئيس وزرائه "غايار"، مطالبين بإسقاط الحكم، ومن الذين اتصلوا بالحكومة الفرنسية السيد "همر شولد" الأمين العام للأمم المتحدة، والزعيم السوفيياتي (Gorbachev) والرئيس الهندي "نهر" والرئيس "جمال عبد الناصر"، وعدد كبير من الهيئات النسائية في العالم، كما اتصلت بعض الحكومات العربية بسفارات فرنسية ناقلة إليها رفض شعوبها واستنكارهم لهذا الحكم، مبدئين تعاطفهم التام مع "جميلة بوحيرد"¹. وفي 5 مارس 1958 اجتمعت لجنة حقوق الإنسان بالأمم المتحدة، وناقشت مأساة "جميلة بوحيرد" بعد أن تلقت ملايين برقيات الاستنكار من كل أنحاء العالم.²

إلى جانب "جميلة بوحيرد" كانت "جميلة بوباشة" التي تعرضت هي الأخرى للتعذيب والاغتصاب، وقد شغلت قضيتها العالم خاصة بعدما قامت الكاتبة الفرنسية "سيمون دي بوفوار"، بكتابة مقال تحت عنوان "من أجل جميلة بوباشة..." في جريدة (Le Monde) في 2 جوان 1960، حيث لم تدع صغيرة ولا كبيرة إلا وذكرتها ابتداء من ليلة 11 فيفري التي شهدت عملية توقيف أسرة "بوباشة"، كما أشارت إلى حادثة اغتصابها وطالبت بتأجيل محاكمة "جميلة بوباشة"، وتوفير الحماية لعائلتها والشهود.³

وبعد أيام من صدور المقال تأسست لجنة للدفاع عن "جميلة بوباشة" تحت رئاسة "سيمون دي بوفوار" ضمت شخصيات تنتمي لتيارات سياسية وفلسفية ودينية مختلفة، من أمثال: فرانسواز ساغان، جان أمروش، إيميه سيزير، لوسي فور، رينيه جوليوار، جان بول سارتر... وبعثت جميلة برسالة إلى اللجنة تشكرها على وقوفها إلى جانبها، وعلى إعادة الأمل لها من جديد في الحرية.⁴ كما قامت المحامية "جيزيل حليبي" بنشر مرافعتها بمساعدة "سيمون دي بوفوار"، في كتاب حمل اسم "جميلة بوباشة"، وزين غلافه بورتريه لـ "جميلة بوباشة"

1- المرجع نفسه- ص 94.

2- علي الجملاطي- جميلة بوحيرد- الدار القومية للطباعة والنشر- مصر - دون سنة- ص 48.

3- سيمون دي بوفوار- جيزيل حليبي- جميلة بوباشة- ترجمة: محمد نقاش- دار العلم للملايين- بيروت- 1962- ص 73. ص 224-228.

4- المصدر نفسه- ص 78-79.

للرّسام العالمي "بابلو بيكاسو"، الأمر الذي زاد في شهرة الكتاب، وتضامن الكثير من الحكومات والشعوب معها.

ألهمت بطولة جميلات الجزائر صَنَاع السِّينما والأدب الذين انبهروا بشجاعة المرأة الجزائرية؛ فقد أخرج "يوسف شاهين" تزامنا مع الحكم بالإعدام على "جميلة بوحيرد" فيلما يحمل اسمها، أسند فيه السيناريو والحوار للأديب الكبير نجيب محفوظ، وعبد الرحمان الشرقاوي، وعلي الزرقاني، ووجيه نجيب، وكان الفيلم من إنتاج الممثلة "ماجدة الصباحي" التي أبدعت في تأدية دور المناضلة "جميلة بوحيرد"، وشاركها البطولة عدد كبير من نجوم السِّينما المصرية من أمثال: "محمود المليجي، أحمد مظهر، رشدي أباطة، صلاح ذو الفقار، حسين رياض، زهرة العلا... أحدث الفيلم ضجة كبيرة، فبعد كل عرض كانت القاهرة تشهد مظاهرات ومسيرات ضخمة مناصرة للقضية الجزائرية العادلة، وكفاح المرأة ضد الاستعمار الفرنسي، ومع عرض الفيلم في باقي دول المشرق العربي توسع الدعم لكفاح الشعب الجزائري.¹

وفي مجال الشَّعر نظم الشعراء الكثير من القصائد التي تغنى بالمرأة الجزائرية، وتمجد بطولاتها وخاصة المناضلة "جميلة بوحيرد"؛ حيث يذكر "عثمان سعدي" أنه أثناء عمله كسفير بالعراق وسوريا، قام بجمع الشعر العربي الذي قيل في الثورة الجزائرية من أقطار عربية ثلاثة وهي العراق، سوريا والسودان، وكانت الحصيلة 468 قصيدة أنشدها 181 شاعرا وشاعرة، منها 35 قصيدة في "جميلة بوحيرد". ولعل أشهر هذه القصائد ما جادت به قريحة الشاعر السوري "نزار قباني" في قصيدته "جميلة بوحيرد"². حيث يقول في أحد مقاطعها:

الاسمُ: جميلة بوحيردُ

أجملُ أغنيةٍ في المغرب

أطولُ نَخْلَةٍ

عرفتها واحاتُ المغرب

أتعبت الشمس ولم تتعب

يا ربّي . هل تحت الكوكب ؟

1- زينب عبد اللاه- ورحلت الدلوعة المجاهدة.. -" مجلة اليوم السابع - 2020/01/18 - ص 10.

2- نزار قباني- جميلة بوحيرد- مجلة الآداب- عدد 4 - بيروت- 1958- ص 1-2.

يوجدُ إنسانٌ مهما كان

يرضى أن يأكلُ .. أن يشربَ

من جثة امرأة تُصلب

لكن فرنسا يا ربي

ترضى أن تلحق كالكلب

من جثة امرأة تصلب

من لحم جميلة بوحيرد

كما نظم الشاعر "سليمان العيسى" قصيدة يشيد فيها ببطولة "جميلة بوباشة"، وقد حملت

اسم "إلى جميلة بوباشة بطلة الجزائر الجديدة"، ومما جاء فيها¹:

قديسة جديدة في قبضة العذاب

يزهو بها لواءك المركز في السحاب

قديسة جديدة .. للسجن، للذئاب

تطعم نار الساحة الحياة والشباب

ناديت يا أرض الفداء .. فالدم الجواب

خاتمة: وفي نهاية هذه الدراسة نخلص إلى النتائج التالية:

- تمكنت جبهة التحرير الوطني من اختراق السجون والمعتقلات وتحويلها إلى منابر للدعاية للثورة التحريرية، وجلب التأييد والدعم لها، الأمر الذي جعل السلطات الاستعمارية عاجزة عن تحقيق الأهداف التي سطرته لهذه المؤسسات العقابية رغم استخدامها لمختلف الوسائل القمعية والزجرية.

- لعبت المرأة دورا مهما داخل السجون والمعتقلات؛ فهي لم تبقى بعيدة عن الكفاح؛ بل واصلت نضالها من وراء أسوارها تحت إشراف جبهة التحرير الوطني بكل الوسائل المتاحة؛ فساهمت في إسماع صوتها، وبيان حقيقة ما يعانيه السجناء من تعذيب وتنكيل واضطهاد، وذلك من خلال المشاركة في المظاهرات والاحتجاجات والإضرابات عن الطعام .

1- سليمان العيسى- إلى جميلة بوباشة بطلة الجزائر الجديدة- مجلة الآداب - عدد 8 – بيروت- أوت 1960- ص6.

- لم تستسلم المرأة لظروفها المعيشية القاسية داخل السجن؛ بل إنها شمرت على ساعديها وشرعت تتعلم، وتنهل من مختلف العلوم والمعارف حتى تساهم في عملية البناء والتشييد.
- إنّ التّضحيات الجسم التي قدّمتها المرأة الجزائرية وصبرها على التّعذيب والتّنكيل أكسبتها شهرة عالمية جعلت العديد من الشّعوب والدول تتعاطف معها، وتدافع عن عدالة قضيتها؛ بل إنّ الكثير من أبناء المستعمر تعاطفوا معها، ودافعوا عنها ضد بلدهم الأمّ فرنسا في مختلف المحاكم والمحافل الدولية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- شتاينر آني - ملتقى كفاح المرأة الجزائرية- منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954- الجزائر- 2007.
- 2- قلوحي نجود علي - عرائس بربروس- ANEP- الجزائر- 2014.
- 3- الجميلاطي علي - جميلة بوحيرد- الدار القومية للطباعة والنشر- مصر- دون سنة.
- 4- العيسى سليمان - إلى جميلة بوباشة بطلة الجزائر الجديدة- مجلة الآداب - عدد 8 - بيروت- أوت 1960.
- 5- بلخوجة عمار - باية حسين 1940- 2000 (في قلب جميع المعارك) - ترجمة :مصطفى فاسي- موقف للنشر- الجزائر- 2014.
- 6- بلخوجة فتحي- مذكرات مقاوم (من مقاوم في حرب المدن إلى سجين سياسي)- ترجمة - محمد جناح- دار القصة للنشر- الجزائر- 2012.
- 7- بوعزيزيحي- المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية- دار الهدى - الجزائر- 2000.
- 8- جعفر نورة سعدية - الوفاء (سلسلة لقاءات وحوارات مع مجموعة من مجاهدات ثورة نوفمبر 1954)- دار الهدى- الجزائر- 2012.
- 9- حسيب خيرة - المرأة الجزائرية في خضم الثورة التحريرية- مجلة أول نوفمبر- عدد 60- الجزائر- 1983.
- 10- خياطي مصطفى - سجناء سياسيون خلال حرب الجزائر استنادا إلى أضاير اللجنة الدولية للصليب الأحمر- ترجمة- عباد قندوز فوزية- دار هومة الجزائر- 2015 .
- 11- دي بوفوار سيمون - جيزيل حليبي- جميلة بوباشة- ترجمة : محمد نقاش - دار العلم للملايين- بيروت- 1962.
- 12- عبد الله زينب -ورحلت الدلوعة المجاهدة.." - مجلة اليوم السابع - 2020/01/18
- 13- عتيق محمد الصالح- معتقل الدويرة (الفم المغلوق قبر مفتوح)- مجلة أول نوفمبر- عدد 68- الجزائر- 1984.
- 14- علاق هنري- مذكرات جزائرية- ترجمة مسعود جناح- عبد السلام عزيزي- دار القصة للنشر- الجزائر- 2007.
- 15- علي هارون - الولاية السابعة (حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954- 1962) - ترجمة : الصادق عماري ماضي- مصطفى ماضي- دار القصة للنشر- الجزائر- 2013.
- 16- فرجاس جاك - جرائم الدولة "الكوميديا القضائية"- ترجمة حيدر حسين- عوידات للنشر والطباعة- بيروت- 2004.

- 17- قبّاني نزار - جميلة بوحيرد- مجلة الآداب- عدد 4 – بيروت- 1958.
- 18- قروج جاكين - سجون ومداشر – ترجمة- نسيم مسعيد- وزارة المجاهدين- الجزائر- 2012 .
- 19- قنطاري محمد - من بطولات المرأة الجزائرية في الثورة وجرائم الاستعمار الفرنسي- دار الغرب للنشر والتوزيع- الجزائر- 2004.
- 20- كلاش هبة- إسهامات المرأة الجزائرية المهاجرة في الثورة التحريرية بفدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا "زينة حرايق أنموذجاً"- مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية –العدد 1- مجلد 8- جامعة قالم- أفريل 2024.
- 21- لصقر خيار خديجة - النداء الخالد (مذكرات مجاهدة)- مطبعة حستاوي مراد- الجزائر- 2012.
- 22- مجهول- المعتقلون الجزائريون في سجون فرنسا- جريدة المجاهد- عدد 45- 1959/06/29.
- 23- مجهول- لماذا عاد المساجين في فرنسا إلى الاضراب عن الطعام ؟ - جريدة المجاهد- عدد 47- 1959/7/27.
- 24- هامون هرفي - باتريك روتمان- حملة الحقائق " المقاومة الفرنسية ضد حرب الجزائر"- ترجمة : عبد الرحمان كابوية - محمد سالم- منشورات دحلب- الجزائر- 2010.
- 25- Djamila Amrane-Minne - Femmes au combat- Edition Rahma- Alger- 1993.
- 26- Louisette Ighilahriz- Algérienne- récit recueilli par Anne Nivat- Edition Chihab- Alger-2013.